مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

معادلة القوة بين الإرهاب والدولة في العراق

أ.د. ساجد أُحميد الركابي

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

معادلة القوة بين الإرهاب والدولة في العراق

أ.د. ساجد أحميد الركابي *

مقدمة:

هي معادلة لا تنفكُّ عن تكرار مشاهدها في خِضَمِّ الحرب الدولية على الإرهاب، وبمعنًى آخر صراع القوى الذي شهدته العلاقات الدولية إبَّان الحرب الباردة، إلا أنَّ صراع القوى اليوم لم يعد مقتصراً على الدول، بل ضمَّ إلى ملعبه أفراداً وزُمراً وعصابات وجماعات صغيرة وكبيرة مختلفة الأعراق والأديان والطوائف والعقائد والأفكار، ميادينه ومواقع الصِّدَام والمعارك فيه غير محدَّدة وواضحة وثابتة ومعلومة أو مُدركة سلفاً، ينتقل بأفراده وأسلحته وأساليب قتاله من مكان لآخر، فتتغيَّر تبعاً لذلك خطط المعارك وتتنَّوع فنون المواجهة ووسائل الحل وأساليبه المناسبة له.

إنَّها معادلة مرتبطة بالنفس والعقل وما ينتجانه من فكر، ومن ثَمَّ تصميم وإرادة وقرار ومن ثَمَّ نتائج كارثية أهلكت الحرث والنسل، فهي –حقاً– حربٌ عالمية ثالثة لا تُعرف مَدياتها ولا نهاياتها ولا يمكن التنبؤ الدقيق بنتائجها. والقوة التي تتوسَّط طرفي المعادلة، الإرهاب والدولة؛ فإدراك القوة من طرف الإرهاب لا يقتصر على القوة المادية ممثلةً في الإمكانات المستخدمة في القتال، البشر والأسلحة، وإن كانت تمثِّل أدوات العنف والإرهاب المهمة؛ لأنَّها مجرد وسائل لتنفيذ أهداف منظمات الإرهاب وزُمره، والاقتصار على الاهتمام بهذا النوع من القوة هو سذاجة تطبع تفكير صُنَّاع القرار، والحكمة أن نأخذ مفهوم القوة على شموليته مدركين أنَّ هنالك أنواعاً أخرى من القوة تُغذِّي الإرهاب، وتُديم استمراريته وتناميه وانتشار خلاياه وتطوير قدراته على التكيُّف المستمر مع البيئة الحاضنة أو التي يمارس نشاطه الإرهابي فيها حاله حال الوباء الخطير الذي يُغيِّر سلالته وتركيبته الجينية في الجسم المصاب والحاضن له.

وتتمثَّل مفاهيم القوة المقصودة، قوة الفكر والعقيدة التي تتبناها والتي تمثِّل سر جاذبية التنظيمات الإرهابية مثل "داعش"، وقدرات التجنيد والانتشار في مجتمعات مختلفة ومتنوعة على رقعة جغرافية واسعة، وقوة الإمكانات الاقتصادية والمالية، والنفسية والاجتماعية، لمقاتليه، القوة الدعائية والإعلامية، القوة في قدرات الإقناع وإمكانات التوظيف والاستثمار لظروف المجتمعات

* كلية القانون/جامعة البصرة.

وأحوالها وتضليل الرأي العام فيها، ومن هذه الأنواع من القوة يجري تفريخ أنواعاً أخرى تديم استمرارية العنف والإرهاب، فيستمرُّ استنزاف قدرات الدولة والمجتمع وقواهما، وعلى مديات غير منظورة أو متناهية.

أمَّا إدراك القوة من طرف الدولة وهي الطرف الثاني في المعادلة فإنَّ لها أنواعاً من القوة كثيرةً وكبيرة إنِ اسْتُثْمِرَتْ بعقلانية ورشد، ووُظِّفتْ في معادلة صراع القوة ضد الإرهاب آتت أُكُلها وفعاليتها في مواجهته، والحد من انتشار خلاياه، وأدَّت إلى استقرار المجتمع والدولة، وهذه الأنواع تتمثَّل في القوى البشرية والفكرية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية، فضلاً عن القوة العسكرية والأمنية. وتعتمد مستويات الاستثمار والتوظيف لهذه القوى والقدرات وتتوقَّف على عقل صانع (صُنّاع) القرار وفكرهم، ومَن يمتلك زمام الأمور وقيادة المجتمع والدولة في معادلة الصراع، ومن ثَمَّ فإنَّ الإشكالية الأساس تكمن في امتلاك القوة وتوظيفها من قبل طرفي المعادلة، الإرهاب—الدولة.

وعن طريق النظر في أوضاع العراق منذ عام 2003، أُسِّسَتْ فرضية واقعية مفادها:

كلَّما كانت الدولة ومجتمعها قويان انهارت قوى الإرهاب وضعفت، وكلما ضعف الدولة ووهنت قواها وعانى مجتمعها الانقسام والاختلاف قويت شوكة الإرهاب واستفحلت خلاياه وازدادت وتائِر نشاطاتها الإرهابية وجرائمها، وعلت سقوف طموحاتها بقيام كيان إرهابي ينافس ويقوِّض كيان الدولة ووجود المجتمع، وإعلان (داعش) دولة الخلافة عام 2014، خير مثال على ذلك.

أولاً: الإرهاب:

البحث في الإرهاب يتطلَّب التوقُّف عند طبيعته وأسبابه.

أ. طبيعة الإرهاب:

الإرهاب ظاهرة معقَّدة في وجودها عوامل وأسباب تتداخل فيها عوامل شخصية ونفسية وسياسية واقتصادية، تحقق أهدافها بممارسة العنف والقتل وتحسم خلافاتها بإلغاء الآخر وإقصائه من الوجود[1]، وممارسة العنف وإثارة الذعر والخوف والتهديد به ضد الطرف المستهدف غايته تغيير سلوكه ومواقفه لتحقيق أهداف معينة سواءً صدر هذا السلوك من أفراد أم جماعات أم منظمات

1. د. علي سالم: سيكولوجية الإرهاب. وجوه متعددة وقضايا مختلفة، تشرين الثاني 2017.
https://www.researchgate.net/publication/321229188-

أم دول[2]، هو إذن في جوهرة ممارسة العنف والتسلُّط والإكراه والقسر والعدوانية[3]، وله شقَّان، شق اجتماعي وآخر سياسي[4]، بمعنًى آخر، فإنَّ النشاط الإرهابي في ركنه المادي، لا يختلف عن أية جريمة عادية، بيد أنَّ الباعث على جرائم الإرهاب والغرض منها سياسي. وتتميَّز هذه الجرائم بخصائص ثلاث:

1. إنَّ جرائم الإرهاب من صنع جماعات من الناس، أو عصابات غالباً ما ينتمي أفرادها إلى أكثر من دولة واحدة، ممَّا يجعل نشاطها شديد النفاذ والخطورة.

2. من شأن الوسائل التي تستخدم في اقتراف جرائم الإرهاب نشرَ الرعب والذعر كالانفجارات ونسف الخطوط الحديدية والجسور والمباني، وتسميم مياه الشرب، ونشر الأوبئة.

3. من شأن جرائم الإرهاب أن تولِّد أخطاراً عامة شاملة[5].

وفي الفقه القانوني الدولي عُرِّف الإرهاب الدولي بأنَّه كلُّ اعتداءٍ على الأرواح والأموال والممتلكات العامة أو الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون الدولي العام بمصادرها المختلفة بما في ذلك المبادئ العامة للقانون بالمعنى الذي تحدِّده المادة (38) من النظام الأساس لمحكمة العدل الدولية[6].

وهو بذلك يمكن النظر إليه على أساس أنَّه جريمة دولية أساسها مخالفة للقانون الدولي العام، ولأنَّها كذلك تقع تحت طائلة العقاب طبقاً لقوانين سائر الدول[7].

ب. أسباب الإرهاب وعوامل انتشاره:

2. المصدر السابق.
3. د. علي أسعد وطفة: بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص128.
4. د. عبد الوهاب حومد: الإجرام السياسي، دار المعارف، بيروت، 1963، ص220.
5. د. محمد فاضل: محاضرات في الجرائم السياسية،/معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1962، ص39.
6. فضلاً عن الاتفاقيات الدولية والعرف الدولي، تضمنت المادة (38) من النظام الأساس لمحكمة العدل الدولية في الفقرة (3- المبادئ العامة للقانون المعترف به من قبل الدول المتحضرة) القوانين التي تطبقها المحكمة (في الفصل وفقاً للقانون الدولي في النزاعات المعروضة عليها).
7. د. عبدالعزيز محمد سرحان: حول تعريف الإرهاب الدولي وتحديد مضمونه من واقع قواعد القانون الدولي وقرارات المنظمات الدولية، المجلة المصرية للقانون الدولي، الجمعية المصرية للقانون الدولي، القاهرة، المجلد التاسع والعشرون، 1973، ص174-173.

الاقتناع بالإرهاب والعنف أسلوباً للحياة والتعامل مع الآخر، والانخراط في الزمر والتنظيمات الإرهابية لا يأتي من فراغ بل من اعتقاد وفكر راسخ في عقلية الشخص الإرهابي، فمن يأتي إلى "داعش" بوصفها منظمةً إرهابيةً فعلت فعلها التدميري الكبير في العراق ومناطق هشة ورخوة في العالم العربي والإسلامي، ليس أغلبهم من أصحاب السوابق الإجرامية ولا من المنحرفين أو الباحثين عن المال، وهم غالبيتهم من الشباب والفتيات الصغار الذين يبحثون عن (معنى) أو (هدف) أو (قضية) أو رسالة دفاعاً عن الدين أو المظلومين أو البحث عن حلم روحي غير موجود في الغرب أو البحث عن حياة أفضل أو عن الخلاص، يوم القيامة عبر (الاستشهاد)، أي قتل النفس في سبيل الله[8].

ويرى سيمون كوتي (Simon Cottee) أنَّ الإرهاب في المقام الأول فشل أخلاقي وليس فكري؛ لأنَّه انتهاك لإنسانيتنا المشتركة وقدسية كل حياة بشرية، وتستثمر الجماعات الإرهابية طاقة كبيرة في التبرير الأيديولوجي لعمليات النهب التي تمارسها وتصف الإجرام وتصوِّر نفسها على أنَّها مدافع عن الخير[9].

وفي تفسير آخر لدوافع الاتجاه إلى تنظيم "داعش"، يتعلَّق بسؤال الهوية بوصفه المفتاح الرئيس لفهم جيل الشباب، فمنهم مَن يشعر بالفراغ الروحي، ومنهم مَن يتساءل عن علاقته بالكون والوجود، ومَن يشعر بالاستياء من الواقع الموجود، ومنهم مَن يريد إنقاذ العالم، ومَن يشعر بقلق على هويته الدينية أو الطائفية، كل أولئك أعضاء مرشحين للانضمام إلى تنظيم "داعش"[10].

أمَّا "حسن أبو هنيَّة" فإنَّه يعزو جاذبية "داعش" وقدرتها على التجنيد والاستقطاب لستة أسباب وعلل رئيسة هي:

1. فشل الدولة القطرية العربية والإسلامية على الأصعدة كافة تمثَّل:

سياسياً: تفشِّي السلطوية الدكتاتورية وغياب الحكم الرشيد، إذ نجم عنه شعور بالظلم غذَّاه القمع والعنف المنهجي الذي تعرَّض له المواطنون على أيدي حكوماتهم على مدى عقود بوصفهم خطراً على الأمن الوطني.

8. محمد سليمان ابو رمان: سر الجاذبية. داعش، الدعاية والتجنيد، مؤتمر فريدريش إيبرت، عمان، 16.

9. Simon Cottee: The Zoolander Theory of Terrorism. Jihadists are often portrayed as brainwashed dupes. They're not. May 12, 2015. https://www.theatlantic.com/international/archive/2015/05/zoolander-terrorsts-brainwashed-isis/393050

10. أبو رمان: مصدر سابق، ص15-14.

اقتصادياً: أدَّت سياسات الدولة الاقتصادية الريعية الفاسدة وغياب الشفافية وهيمنة المحسوبية وفقدان المساواة لانعدام الفرص الاقتصادية وضعف نظم الرعاية الاجتماعية التي توفرها الدولة.

ثقافياً: فشل أنظمة التعليم العربية واعتمادها المناهج القائمة على الأساليب التلقينية لا التفاعلية، وعدم التقبُّل غير النقدي لفكرة السلطة الهرمية من دون مساءلة.

2. بروز النزعة الطائفية.

3. رمزية الخلافة الإسلامية: مع إلغاء نظام الخلافة في نسختها العثمانية الأخيرة عام 1924م، إلَّا أنَّ مفهوم (الخلافة) بوصفه نظاماً سياسياً إسلامياً يجد صدًى عاطفياً كبيراً عند الشعوب العربية والإسلامية.

4. مناهضة الإمبريالية الغربية: طوَّر تنظيم ''داعش'' أيديولوجيته الجهادية العالمية وعن طريق دمج الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية، إذ قدَّم نفسه بوصفه مناهضاً للإمبريالية الغربية.

5. الثورة الاتصالية وشبكات التواصل: تُعدُّ الجهادية العالمية عموماً وتنظيم الدولة الإسلامية خصوصاً، أحد أهم الحركات والتنظيمات الراديكالية التي استثمرت الثورة الاتصالية في بثِّ رسالتها الدعوية الدينية، فقدِ استثمر الجيل الجديد من الجهاديين دخول شبكة ''الأنترنت'' منذ منتصف التسعينات عن طريق تأسيس آلاف المواقع الجهادية، ومع الثورة السورية عام 2011 استخدمت وسائل التواصل الاجتماعي، وفي مقدِّمتها (تويتر، وفيسبوك، وديا سبورا) بصورة مكثفة.

6. الثورات المضادة للربيع العربي[11].

11. حسن أبو هنية: جاذبية (الدولة الإسلامية) نظريات الاستقطاب، في مؤتمر مؤسسة فريدريش ايبرت. عمان، 2016، ص25-18.

ثانياً: الدولة (العراق)

إنَّ الأسباب التي نتج عنها العنف والإرهاب حتى استفحل وصار (دولة) هي نفسها قد أوجدته في العراق، بل أضحى هذا البلد مثالاً سيئاً في الفشل السياسي وعدم الاستقرار والفساد والعنف وسفك الدماء والتخريب والطائفية والتطرُّف، فنال الدولة ومؤسساتها الوهن والضعف ومن ثَمَّ أصبح العراق الأنموذج الواقعي لمعادلة القوة بين الإرهاب والدولة، والذي مثَّل أسوأ مرحلة تاريخية في حياة العراقيين.

لقد ذكرت كثير من الدراسات والأبحاث والمؤلفات العراق بأوصاف سلبية ومضاهاته بالأنظمة السياسية والدول المتخلفة والفقيرة والفاسدة والمهدَّدة بالانهيار والحروب الأهلية، فكان ضمن تصنيف الدول الفاشلة، والعميقة، والهشَّة، والضعيفة...إلخ.

ومنذ أنِ احتلتِ الولايات المتحدة وبريطانيا العراق عام 2003، تعمَّدتِ الإدارة الأمريكية أن يعيش العراق في حالة من الفوضى والتدمير الكامل لكل بنيته الاقتصادية والعلمية والثقافية، وكرَّستِ الانقسام المكوناتي وأطرته سياسياً بوصفه نظام حكم بدأ بتأسيس مجلس الحكم حتى الآن. تعمَّدت أن يكون العراق بؤرة تجذب الإرهاب وزمره، فجعلت حدوده مفتوحة وحلَّت جيشه وقواه الأمنية، وجعلت اقتصاده متخلفاً تنعدم فيه كل الفعاليات الاقتصادية في المجالات كافة وجعلت مواطنيه يعيشون في مستويات معيشية واطئة يعانون الفقر والعوز وخلقت طبقة طفيلية تهدر ثرواته وتسهم مع أحزابه الحاكمة في إفقاره وتدهور أوضاعه المعيشية ومن ثَمَّ أضحى الفقر والطائفية والفساد السياسي والاحتراب الحزبي وضعف قواه الأمنية ووهنها واعتمادها على قدرات المحتل الذي أضحى حليفاً يستثمر (الفوضى الخلَّاقة) ليكون العراق بداية إعادة ترسيم المنطقة وتقسيمها على أسس ودعائم قومية عنصرية ودينية طائفية. وحينما تتوفَّر كل هذه الظروف فإنَّ بيئة العراق أضحت بيئة حاضنة مثالية لتفريغ خلايا الإرهاب وانتشارها، وتأسيس أقوى تنظيماته بدءاً بالقاعدة أيام الزرقاوي وانتهاءً بتنظيم ''داعش'' أيام البغدادي.

أ. الدولة الفاشلة (الهشَّة)

أورد ''نعوم تشومسكي'' -في نقده للولايات المتحدة الأمريكية ووصفها بالدولة الفاشلة- تعريفاً لها واصفاً بعض الخصائص للدولة الفاشلة ''إحداها هي عدم القدرة أو عدم الرغبة في حماية

مواطنيها من العنف وربما من الدمار نفسه" والخصيصة الأخرى هي "النزعة إلى عدِّ نفسها فوق القانون، محلياً كان أم دولياً، ومن ثَمَّ إطلاق يدها في ممارسة العنف وارتكاب العدوان". وحتى إذا ما كانت تملك أشكالاً ديمقراطية، إلا أنَّها تعاني من (عجز ديمقراطي) خطير يُجرِّد مؤسساتها الديمقراطية الرسمية من أي جوهر حقيقي[12]. من مظاهر الدولة الفاشلة عدم قدرتها على تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي وعجزها عن تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية[13].

وتعتمد مؤشرات الدولة الفاشلة على معايير محدَّدة يُقاسُ على أساسها، وتُعدُّ قدرة الدولة على القيام بوظائفها الأساسية العامل الأساس لنجاحها أو فشلها وهي أيضاً دولة تفقد السيطرة على وسائل العنف الخارج عن الإطار القانوني فتكون عاجزة عن تحقيق السلام والاستقرار لشعوبها وفي فرض السيطرة على أراضيها، ولا تستطيع تبعاً لذلك ضمان النمو الاقتصادي[14].

يخلق عجز الدولة عن القيام بوظائفها بيئة خصبة لبقاء الإرهاب ويمكن أن ينتجَ أجيالاً جديدة من الجماعات الإرهابية[15].

وإذا كان الإرهاب ظاهرة عالمية فإنَّ انتقاله إلى العراق بعد الاحتلال أسهم في تعميم ثقافة العنف والتطرُّف، إذ أصبحت ثقافة سائدة وقفت خلفها قوى سياسية وزادها عمقاً توافد الإرهابيين وصعود الظاهرة الطائفية واستشراء الفساد.

ويرى الدكتور عبدالحسين شعبان أنَّ هنالك ثلاثة روافد تغذِّي الإرهاب في العراق، وهي:

أولها: الطائفية ونظام المحاصصة أحد مخرجاته.

ثانيها: الفساد الذي كان الوجه الآخر للإرهاب والتطرُّف.

ثالثها: ضعف مكانة الدولة وتدهورها التي أجهز عليها الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003.[16]

12. نعوم تشومسكي: الدولة الفاشلة، إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص8.

13. عبدالحسين شعبان: العراق من الدولة الفاشلة إلى الكيان الهش، 15/11/2015. موقع الجزيرة.

14. د. أياد العنبر، إسحق يعقوب محمد: مستقبل العراق، دراسة في العلاقة بين مؤشرات الدولة الفاشلة ومتغيرات انهيار الدولة، حولية المنتدى.

15. د. أياد العنبر: الدولة الفاشلة باقية وتتمدد في العراق، 14/مارس/2019.

16. د. عبدالحسين شعبان: التطرف والإرهاب، إشكاليات نظرية وتحديات عملية (مع إشارة خاصة إلى العراق) (مراصد) كراسة علمية، وحدة الدراسات المستقبلية، برنامج الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الاسكندرية، 2017، ص19.

وعزا مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن وضع العراق ضمن الدول الفاشلة إلى عدد من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، يأتي في مقدمتها الانقسامات الداخلية، وعدم كفاءة القوى السياسية والأمنية، والفساد الإداري والمالي، والضعف السكّاني[17].

ونظراً لحِدَّة المصطلح وفظاظته حُوِّلَ إلى (مؤشِّر الدول الهشة) لكن مع المحافظة على اعتماد المؤشرات نفسها، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وأمنياً، ويعرِّف مؤشر الدول الهشة بأنَّها الدول التي تواجه صعوبات في إتمام وظائف إدارة الحكم وتعاني أزمات داخلية وخارجية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ناهيك عن تفشّي الفساد السياسي والمالي في نظمها، كما أنَّها تشترك على اختلاف خصوصياتها الداخلية في خاصية تفشّي الفقر والبطالة وانعدام الأمن.[18]

ووَفْقاً لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، فإنَّ المنطقة أو الدولة الهشَّة عندها قدرات ضعيفة على القيام بوظائف الحكومة الأساسية وتفتقر إلى القدرة على تطوير علاقات بنَّاءة متبادلة، كما أنَّ المناطق أو الدول الهشَّة تُعدُّ –أيضاً– أكثر ضعفاً على صعيد الصدمات الداخلية أو الخارجية مثل الأزمات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية.

وتُشيرُ الهشاشة إلى طيف واسع من الحالات: دول تعاني من أزمات، ودول في حروب، وسياق إعادة الإعمار، والأزمات الإنسانية والطبيعية وحالات الفقر المدقع[19].

لقد صنَّف البروفيسور «كوردسمان» العراق ضمن الفئة (ج) فئة (المنذرة – Alert) من الدول الفاشلة (الهشة) وعزا ذلك إلى "فشل العراق في التعافي في حربه ضد داعش، وما تزال الحكومة ضعيفة غير مستقرة وقدرات الأمن غير حاسمة، وما تزال هناك انقسامات عِرقية ومذهبية، ويواجه العراق فساداً هائلاً على المستويات كافَّة"[20].

ويشهد العراق ضعف مؤسَّسات الدولة على إدارة البلاد في مختلف المجالات وتراجع قدرتها على فرض هيبة الدولة، واحتكار ممارسة العنف فضلاً عن الفشل الكبير في تقديم الخدمات وتحقيق

17. تقرير دولي: العراق خامس عربياً ضمن الدول الفاشلة و14 عالمياً، بغداد، (الزمان) سبتمبر 2020.
https://www.azzaman.com
18. المصدر السابق.
19. الدول الهشَّة.
NSDS Guidelines (https://nsdsguideline.paris.21.org/ar/node/291) source URL
20. المصدر السابق.

الاستقرار المطلوب، وهذا تسبَّب بهشاشة الدولة العراقية وحصولها على موقع متأخر في المؤشر، إذ حصل العراق على درجة (96.2) من الهشاشة في المرتبة العشرين، وإن كان قد شهد نوعاً من التحسُّن عن السنوات السابقة، كما يبيّن الشكل (1، 2)[21].

الشكل رقم (1)

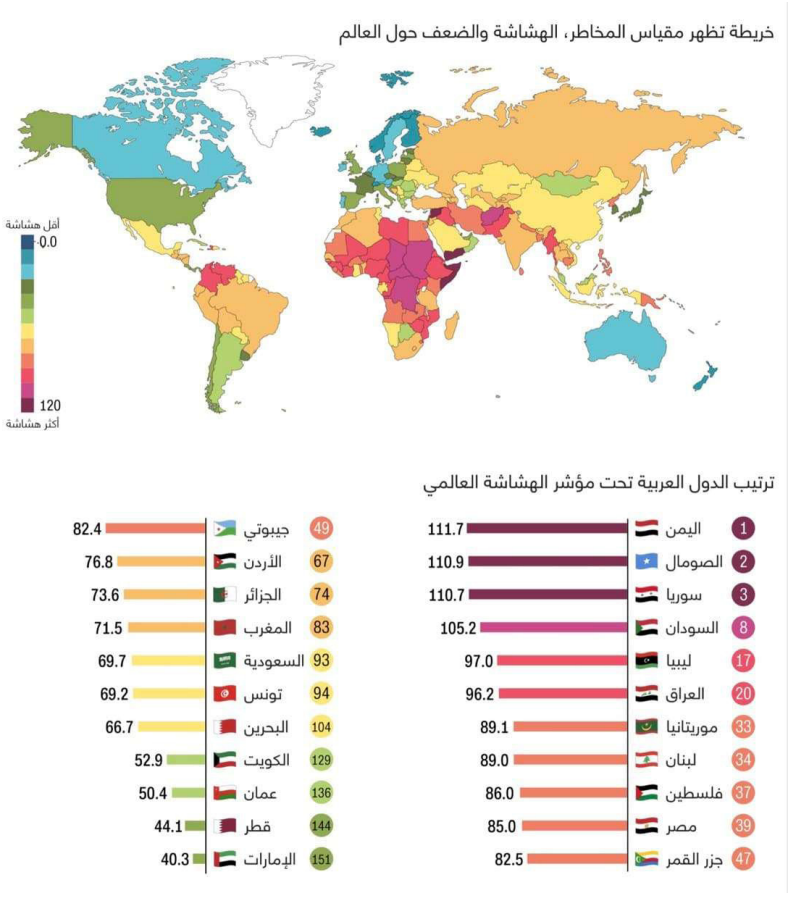

المصدر: مؤشِّر الدول الهشة. صندوق السلام، نقلاً عن CNN تقرير نُشِرَ في 25 أكتوبر/تشرين الأول 2021.

21. د. باسم علي خريسان: العراق في مؤشر الدول الهشة 2021، مركز البيان للدراسات والتخطيط. بغداد، 2021، ص12.

ومؤشِّر الدول الهشَّة (Fragile States Index – FSI) وهو تصنيف سنوي لـ(178) دولية ويصدر منذ عام (2005) من قبل صندوق السلام (Fund for Pace) ومجلة (فورن بوليسي Foreign Policy) في الولايات المتحدة، ويقوم التصنيف بناءً على الضغوط المختلفة التي تواجهها والتي تؤثّر على مستويات هشاشتها[22].

الشكل رقم (2)

https://fragilestatesindex.org/indicators

ثالثاً: موقع العراق في المؤشر

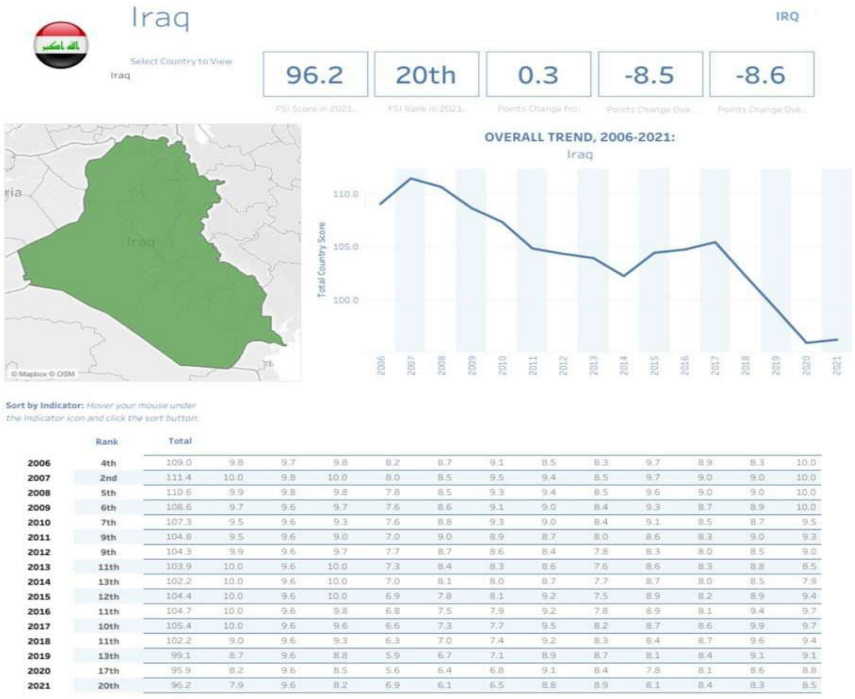

	Rank	Total												
2006	4th	109.0	9.8	9.7	9.8	8.2	8.7	9.1	8.5	8.3	9.7	8.9	8.3	10.0
2007	2nd	111.4	10.0	9.8	10.0	8.0	8.5	9.5	9.4	8.5	9.7	9.0	9.0	10.0
2008	5th	110.6	9.9	9.8	9.8	7.8	8.5	9.3	9.4	8.5	9.6	9.0	9.0	10.0
2009	6th	108.6	9.7	9.6	9.7	7.6	8.6	9.1	9.0	8.4	9.3	8.7	8.9	10.0
2010	7th	107.3	9.5	9.6	9.3	7.6	8.8	9.3	9.0	8.4	9.1	8.5	8.7	9.5
2011	9th	104.8	9.5	9.6	9.0	7.0	9.0	8.9	8.7	8.0	8.6	8.3	9.0	9.3
2012	9th	104.3	9.9	9.6	9.7	7.7	8.7	8.6	8.4	7.8	8.3	8.0	8.5	9.0
2013	11th	103.9	10.0	9.6	10.0	7.3	8.4	8.3	8.6	7.6	8.6	8.3	8.8	8.5
2014	13th	102.2	10.0	9.6	10.0	7.0	8.1	8.0	8.7	7.7	8.7	8.0	8.5	7.9
2015	12th	104.4	10.0	9.6	10.0	6.9	7.8	8.1	9.2	7.5	8.9	8.2	8.9	9.4
2016	11th	104.7	10.0	9.6	9.8	6.8	7.5	7.9	9.2	7.8	8.9	8.1	9.4	9.7
2017	10th	105.4	10.0	9.6	9.6	6.6	7.3	7.7	9.5	8.2	8.7	8.6	9.9	9.7
2018	11th	102.2	9.0	9.6	9.3	6.3	7.0	7.4	9.2	8.3	8.4	8.7	9.6	9.4
2019	13th	99.1	8.7	9.6	8.8	5.9	6.7	7.1	8.9	8.7	8.1	8.4	9.1	9.1
2020	17th	95.9	8.2	9.6	8.5	5.6	6.4	6.8	9.1	8.4	7.8	8.1	8.6	8.8
2021	20th	96.2	7.9	9.6	8.2	6.9	6.1	6.5	8.8	8.9	8.1	8.4	8.3	8.5

المصدر: نقلاً عن: د. باسم علي خريسان: العراق في مؤشِّر الدول الهشَّة، 2021، ص11. وموقع: https://fragilestatesindex.org/indicators

22. Fragile states index 2021. https://fragilestateindex.org/global/data/

وفي المؤشِّر إحدى عشرة مرتبة مصنَّفة وَفْق نقط الهشاشة، من الأكثر هشاشة وضعفاً إلى أقلها وأفضلها قوة واستقراراً وهي: (دول عندها إنذار مرتفع very high alert) (111 – 120)، (إنذار مرتفع High alert) (101 – 110)، (مُنذرة Alert) (91 – 100)، (عندها تحذير مرتفع جداً High Warning) (81 – 90)، (عندها تحذير مرتفع Elevated Warning) (71 – 80)، (مُحذرة Warning) (61 – 70)، (أقل استقراراً Less Stable) (51 – 60)، (مستقرة Stable) (41 – 50)، (أكثر استقراراً More Stable) (31 – 40)، (مستدامة Sustainable) (21 – 30)، (مستدامة جداً Very Sustainable) (0 – 20).

ب. مستويات العنف والإرهاب

من خصائص الدولة الفاشلة (الهشَّة) ارتفاع في معدلات العنف الإجرامي والسياسي، وفقدان السيطرة على الحدود، وارتفاع العدائية بين المكوِّنات العِرقية والدينية والطائفية والثقافية، والحرب الأهلية والإرهاب[23].

بدأ العراق بالتحلِّل والانحدار من الدولة الفاشلة إلى الدولة الرخوة والكيان الهش، وخصوصاً منذ الحرب العراقية–الإيرانية (1980 – 1988) إذ بدأت بعض الإرهاصات الطائفية تأخذ طريقها إلى الممارسة السياسية بتهجير عشرات الآلاف من العوائل العراقية إلى إيران على أنَّهم من التبعية الإيرانية، وضعف ولائهم للدولة العراقية، وزاد تدهور الدولة بعد غزو القوات العراقية للكويت في 2 آب 1990، ثم حرب قوات التحالف ضد العراق عام 1991، والحظر الاقتصادي والحصار الذي دام 13 سنة ثم الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003، وما تبعه من تدمير إدارة بوش وما تبقَّى من المؤسسات العراقية وتأسيس نظام سياسي كرَّس الانقسام المجتمعي وجسَّده في مؤسساته الدستورية منذ قيام مجلس الحكم العراقي[24].

تبعاً لذلك تتمثَّل الحقيقة المركزية في العراق أنَّه اليوم دولة هشَّة، فالاجتياح الأمريكي أطلق العنان لصراع على السلطة يتطلب انتهاءه سنوات عِدَّة، وهو يحول دون قيام دولة قوية فالعراق ما لبث يعجز عن احتواء العنف بمفرده وما زال عاجزاً عن الوفاء بالأعمال الإدارية الرئيسة للدولة، فالميزانيات لم تُنفق غالبية أموالها وإعادة الإعمار بطيئة والخدمات لا يجري تقديمها.

23. د. اياد العنبر: مستقبل العراق، مصدر سابق، ص159.
24. د. عبدالحسين شعبان: العراق من الدولة الفاشلة إلى الكيان الهش، مصدر سابق.

أمَّا الحقيقة الثانية فهي أنَّ انهيار الدول دائماً ما يصعب مواجهته أو الحيلولة دون استمراره، والثالثة تكمن في إخفاق العراقيين حتى الآن في إعداد خطة واضحة وعملية لكيفية إخراج البلاد من حالة الانهيار الراهنة[25].

ويرى بعض المختصين أنَّ هناك (تخادم بين الإرهاب وحكومات الدولة الفاشلة) في العراق، إذ تبدو الهجمات الإرهابية محاولة عبثية لزيادة الفوضى فهي لم تعد تستهدف الحكومات التي تتحصَّن بأسوار المنطقة الخضراء، والمؤسسات الحكومية، ولا مقرات الأحزاب السياسية، ولا حتى مقرات القوى والجماعات المسلحة التي تعلن عن محاربتها ومخالفتها، وإنَّما تركِّز هجماتها على تجمعات المواطنين في الأسواق[26].

ولذلك فإنَّ الحكومة والقوى السياسية باتا يستفيدانِ من الهجمات الإرهابية وتحولها إلى دعاية سياسية لحرف الأنظار عن مشاكل سياسية واضحة واقتصادية تعصف في البلاد، أو في الجانب الآخر هنالك خطاب سياسي يحاول تحشيد الرأي العام باتجاه عودة الطائفية فالحكومات العراقية لا تترك فرصة إلا وتعمل على استثمارها لصالح تبرير فشلها وإخفاقها في القيام بواجباتها[27].

لقد اعترف رئيس الجمهورية الدكتور برهم صالح بوجود الإرهاب الذي اقترن بالفساد المستشري في أجهزة الدولة ومؤسساتها، إذ قال في المؤتمر الدولي لاسترداد الأموال المنهوبة في العاصمة بغداد أيلول 2020، وَفْق بيان الرئاسة العراقية ''إنَّ المشكلة الكبيرة التي تواجه العراق وكثيرٍ من دولنا هي مشكلة الفساد الذي ينخر منظوماتنا، كما أنَّه يمثِّل الاقتصاد السياسي للعنف والإرهاب''، وأضاف '' اعتمد تنظيم داعش وغيره من التنظيمات الإرهابية اعتماداً كبيراً على أموال الفساد لإدامة نفسه''، وشدَّد على ضرورة أنَّ ''جزءاً كبيراً من العنف الذي أصاب العراق مرتبط بشبكات الفساد المالية من التهريب والتجارة غير المشروعة'' و''محاربة التطرُّف والإرهاب وتثبيت دعائم الاستقرار في البلد لا يمكن إلا بمواجهة الفساد بمثل ما واجهنا به الإرهاب''.

25. مارينا أوتاواي، ناثان ج. براون وآخرون: الشرق الأوسط الجديد، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، واشنطن، 2008، ص6-7.

26. د. اياد العنبر: التخادم بين الإرهاب وحكومات الدولة الفاشلة، 25/يوليو/2021.

https:/www.google.comamp/s/www.alhura.com/different-angle/2021/07/25

27. المصدر السابق/جان بيير فيليو: من الدولة العميقة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، مركز الخطابي للدراسات، 2020-2021، ص22.

وفي 23 آيار صرَّح الرئيس برهم صالح في كلمة متلفزة بأنَّ (150 مليار دولار هُرِّبت من صفقات الفساد إلى خارج العراق منذ عام 2003). والعراق من بين أكثر دول العالم فساداً بموجب مؤشِّر (منظمة الشفافية الدولية) على مدى السنوات الماضية، إذِ احتلَّ المرتبة (160) من (180) دولة وحصل على درجة (21) في الدول الأكثر فساداً عام 2020.

الشكل رقم (3)

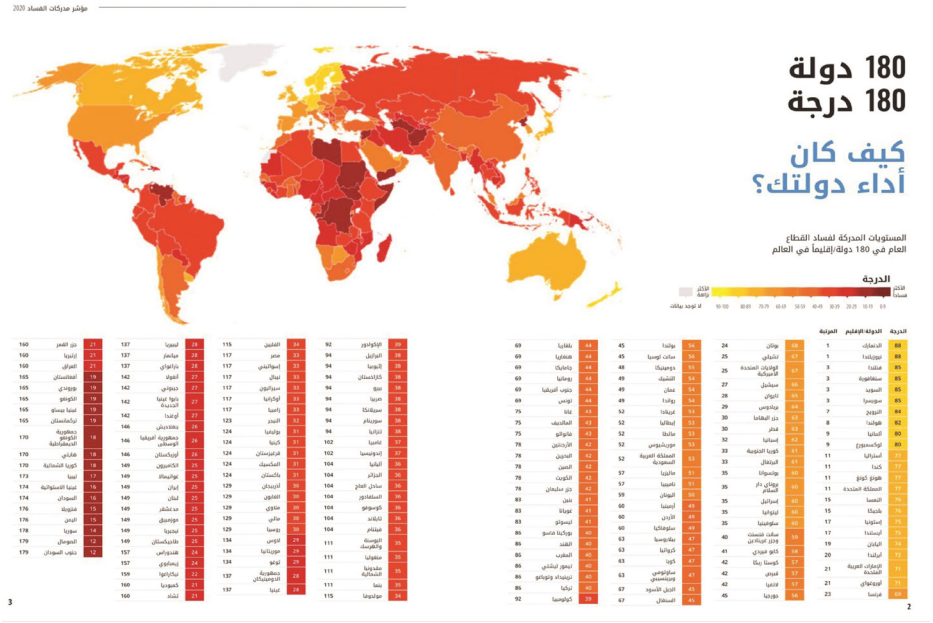

المصدر:

https://images.transparency.org/images/CPI2020/reportAR1602202/web.pdf

وأكَّد الرئيس صالح على الأمر نفسه في كلمته المسجَّلة أمام مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة (دورة 75 في 23 أيلول/سبتمبر 2020) إذ قال: إنَّ بلاده واجهت قبل ظهور فيروس ”كورونا“ وبعده ”وباءً لا يقل فتكاً وخطراً على العالم ألَا وهو الإرهاب والفساد“ ومع إشارته إلى النجاح في دحر الإرهاب عسكرياً وتحرير المدن العراقية من قبضة الجماعات المتطرفة إلا أنَّ برهم صالح قال ”إنَّ الحرب ضد الإرهاب والتطرُّف ما زالت مستمرة“.

لقد كان لتنظيم داعش الإرهابي دوراً في أعمال العنف والإرهاب وجرائمهما، وهو تنظيم سلفي جهادي تطوَّر عن تنظيم القاعدة في العراق الذي أسَّسه ''الزرقاوي'' رسمياً في تشرين الأول 2004، ومع ضعف قوَّات الأمن العراقية وانعدام حماستها وقوَّات تحالف أقل كثيراً من المطلوب للتحكُّم بفاعلية في رقعة كبيرة من الإقليم، فأقام تنظيم ''داعش'' مضافات ومرافئ آمنة شمال دجلة سمحت بتدفُّقٍ حرٍّ للأسلحة والمحاربين بين الأنبار وديالى ونينوى، فضلاً عن أنَّ تنظيم ''داعش'' صعَّد عملياته القتالية في جميع أنحاء محافظة صلاح الدين، منفذاً هجمة مروِّعة ضد ضريح الإمامين العسكريين في مدينة سامراء في شباط 2006، ممَّا شكَّل موجةً من العنف الطائفي وكذلك هجمات انتحارية معقَّدة عديدة أخرى ضد قوات الأمن العراقية[28].

وارتفعت أعداد الضحايا من المدنيين إلى أعلى مستوى للضحايا المدنيين لهذه الحرب الطائفية الناتجة عن عمليات ''داعش'' الإرهابية إذ كانت (16.583) ضحية عام 2005، و(29.526) ضحية عام 2006، و(26.112) ضحية عام 2007[29].

وعاود التنظيم الإرهابي نشاطه وتصعيد عملياته قبل عام 2011 حتى 2014، ولم تهدف هذه الهجمات المكثفة وواسعة النطاق إلى إلحاق أضرار مادية على الحكومة فحسب بل رمت إلى إضعاف معنويات قوات الأمن العراقية وعمليات الترهيب لعناصر الأمن والتهديدات الموجهة لقادة الشرطة وجنودها وعناصرها على المستوى الفردي ممَّا كان لها نتائج مهمة على التطوُّر السريع للتنظيم ونموَّه، ليصبح منظمة قادرة على الاستيلاء على المناطق وحكمها والأهم من كل ذلك هو أنَّها وسَّعت نطاقها ليشمل سوريا مستغلة الثورة والحرب الأهلية هناك[30].

وفي عام 2014 أصبحت عمليات ''داعش'' في العراق وسوريا أكثر ترابطاً، وازدادت وتيرة عبور الأموال والمقاتلين والأسلحة عبر الحدود وفي ظل هذا الواقع الجديد تمكَّنت ''داعش'' من الاستيلاء السريع على الموصل في 10 حزيران[31].

28. باتريك بي جونستون وآخرون: أسس تنظيم الدولة الإسلامية، الإدارة والمال والإرهاب في العراق من عام 2005 إلى 2010، مؤسسة راند RAND، كاليفورنيا، 2016، ص11، 22.

29. Iraq body count. https://www.iraqbodycount.org

30. تشارلز ليستر: تحديد معالم الدولة الإسلامية، مركز بروكنجز، الدوحة. دراسة رقم 13، ديسمبر، 2014، ص10-9.

31. المصدر السابق، ص11.

حينذاك حقَّق تنظيم ''داعش'' تقدَّماً كبيراً باستيلائه على الموصل ثاني أكبر مدينة في العراق وقتل أكثر من (1500) من قوَّات الأمن العراقية في هذه العملية فيما عُرف باسم ''مجزرة سبايكر'' وقد أصبح هذا النوع من العنف المتطرِّف السمة المميزة لعمليات تنظيم ''داعش'' وسرعان ما سيطر التنظيم الإرهابي على معظم المناطق الحضرية الرئيسة في محافظات الأنبار وصلاح الدين وكركوك، واستولى على حقول النفط والقواعد العسكرية ومراكز الشرطة ومصفاة بيجي الحيوية كما سيطر على المعابر الحدودية السورية العراقية، وازدادت قدرة التنظيم على التمويل الذاتي بدرجة كبيرة، وأثبتت قوَّات الأمن العراقية في البداية أنَّها غير قادرة على الدفاع عن الأراضي العراقية وفي الوقت الذي هدَّد تنظيم داعش ضواحي بغداد عام 2014، أصدر آية الله العظمى علي السيستاني فتواه للجهاد الكفائي لرد تمدُّد داعش[32].

وبحلول عام 2016 أصبحت القوات الأمنية العراقية أكثر فاعلية مدعومة بالهجمات الجوية الأمريكية وفقد تنظيم ''داعش'' جزءاً كبيراً من أراضيه بما فيها مدينتي الرمادي والفلوجة، لقد بلغت سيطرة تنظيم ''داعش'' أوجها خريف 2014 في الوقت الذي فرض فيه سيطرته على ما يقدَّر بنحو (6.3 مليون نسمة) أو (19%) من إجمالي عدد السكان وعلى مساحة تبلغ حوالي (58.372) كيلومتر غالبيتها في محافظات الأنبار ونينوى وكركوك وصلاح الدين[33].

لذلك ازدادت أعداد الضحايا المدنيين إذ بلغت (20.218) ضحية عام 2014، و(17.578) ضحية عام 2015، و(16.393) ضحية عام 2016، و(13.183) ضحية عام 2017[34].

32. بن كونوبال، ناتاشا لاندر، كيمبرلي جاكسون: التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية، اختيار استراتيجية جديدة للعراق وسوريا، مؤسسة راند RAND كاليفورنيا، 2017، ص13-12.
33. سيث ج. جونس وآخرون: دحر تنظيم الدولة الإسلامية، مؤسسة راند RAND، كاليفورنيا، 2017، ص85-83.
34. Iraq body count. مصدر سابق

الشكل رقم (4)

المصدر: Iraq body count

الشكل رقم (5)

االقتلى المدنيين شهريا جراء العنف اعتبارا من 2003

	كانون الثاني/يناير	شباط/ فبراير	آذار/ مارس	نيسان/ أبريل	أيار/ مايو	حزيران/ يونيو	تموز/ يوليو	آب/ أغسطس	أيلول/ سبتمبر	تشرين الأول/ أكتوبر	تشرين الثاني/ نوفمبر	كانون الأول/ ديسمبر	
12,152	3	2	3986	3448	545	597	646	833	566	515	487	524	2003
11,737	610	663	1004	1303	655	910	834	878	1042	1033	1676	1129	2004
16,583	1222	1297	905	1145	1396	1347	1536	2352	1444	1311	1487	1141	2005
29,526	1546	1579	1957	1805	2279	2594	3298	2865	2567	3041	3095	2900	2006
26,112	3035	2680	2728	2573	2854	2219	2702	2483	1391	1326	1124	997	2007
10,286	861	1093	1669	1317	915	755	640	704	612	594	540	586	2008
5,382	372	409	438	590	428	564	431	653	352	441	226	478	2009
4,167	267	305	336	385	387	385	488	520	254	315	307	218	2010
4,162	389	254	311	289	381	386	308	401	397	366	288	392	2011
4,622	531	356	377	392	304	529	469	422	400	290	253	299	2012
9,852	357	360	403	545	888	659	1145	1013	1306	1180	870	1126	2013
20,218	1097	972	1029	1037	1100	4088	1580	3340	1474	1738	1436	1327	2014
17,578	1490	1625	1105	2013	1295	1355	1845	1991	1445	1297	1021	1096	2015
16,393	1374	1258	1459	1192	1276	1405	1280	1375	935	1970	1738	1131	2016
13,183	1119	982	1918	1816	1871	1858	1498	597	490	397	346	291	2017
3,319	474	410	402	303	229	209	230	201	241	305	160	155	2018
2,393	323	271	123	140	167	130	145	93	151	361	274	215	2019
908	114	148	73	52	74	64	49	82	54	70	74	54	2020
669	64	56	49	66	49	46	87	60	41	65	23	63	2021
34	34												2022

المصدر: Iraq body count

وما زال تنظيم ''داعش'' يمثِّل تهديداً للحكومة العراقية وقواتها الأمنية عن طريق عودته ومدى احتمالية تكرار سيناريو عام 2014، إذ تعافى تنظيم ''داعش'' من هزائمه الإقليمية منذ عام 2017، وشنَّ عودة قوية ومستمرة بوصفه قوةً بتمرده داخل العراق، مستعيداً كفاءته التكتيكية وانتشاره عبر مناطق متعددة، إذ تظهر المقارنة السنوية للهجمات في الربع الأول من عام 2019، مقابل الربع الأول من عام 2020 زيادة في الهجمات بنسبة (94%) من (292) إلى (566)[35].

وفي الربع الأول من عام 2020 اعتمد تنظيم ''داعش'' على الاستمرارية لإكمال التحوُّل من تنظيم يحكم دولة إلى تنظيم يثأر للدولة التي خسرها، بمعنى التحوُّل من (دولة التنظيم إلى تنظيم الدولة) وهذا تحوُّلٌ يجعله أشبه بتنظيم ''داعش'' في المدَّة بين 2012 – 2014، إذِ اعتمد في البداية أسلوباً لا مركزياً في التغلغل إلى غرب العراق وشرق سوريا وما تزال آلة ''داعش'' الإعلامية منتجة مع تقلُّص نشاط شبكات تنظيم داعش وفلوله على وسائل الإعلام بما فيها منصات (تويتر) و(يوتيوب) مقارنة بمدَّة التوهُّج والنشاط الإعلامي التي صاحبت صعود تلك التنظيمات في المدَّة 2014-2016 خصوصاً[36].

وممَّا تقدَّم، نرى أنَّ معادلة القوة هي الحاكمة في العراق بين الإرهاب والدولة فكلَّما ضعفت الدولة ومؤسساتها وقواها الأمنية وعانى المجتمع من الاختلالات والانقسامات والحرب الأهلية قويت شوكة الإرهاب وازدادت نشاطاته وتوسعت رقعته الجغرافية وازدادت الخسائر البشرية وتدمير بُنى الدولة الأساسية وأعوام 2005 و2006 و2007 وكذا الحال عام 2014 مصداق لذلك، وكلَّما امتلكت الدولة العراقية عناصر القوة ووظفتها وكانت الاستجابة المجتمعية عالية اتجاه دحر الإرهاب وكانت نسبة الانسجام والوحدة كبيرة ضعفت قوة الإرهاب واندحرت، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه المعادلة تعكس أمام صانع (صُنَّاع القرار) السياسي الحقيقة ليدركوا المخاطر التي تهدِّد المجتمع والدولة وضرورة مواجهتها بالتوظيف الأمثل لعناصر القوة بمختلف أنواعها وأشكالها تجاه تحقيق الأمن والاستقرار ومن ثَمَّ التنمية المرجوَّة لمجتمع يتطلَّع إلى مستقبل آمن ومستقر وأفضل.

35. د. عادل عبد الحمزة ثجيل: السياسة والأمن في العراق، تحديات وفرص، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان، 2020، ص11.
36. هشام الهاشمي: تنظيم داعش في الربع الأول من عام 2020، مركز صنع السياسات إسطنبول، تركيا، 30 ابريل 2020، ص40.

خاتمة:

إنَّ إدراك أهمية (القوة) لبناء المجتمع والدولة في العراق، هو الدعامة الأساس في مواجهة لإرهاب ودحره، وقدكانت سنوات 2003 حتى 2021 مصاديق لتلك المعادلة، ومشاهد الضعف والقوة، الفوضى والتماسك، الهزيمة والانتصار، العنصرية والطائفية في قبال الوحدة الوطنية، التشتُّت والتماسك والاتحاد، مشاركة مرارة الهزيمة وأحزانها، وحلاوة النصر وأفراحه، قد عاشها العراقيون بمكوناتهم الاجتماعية كافة تؤكِّد ضرورة الرشد والعقلانية والنضوج الفكري تجاه معالجة المعاناة المستمرة على وَفْق أسس سليمة وصحيحة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وبرأينا أنَّ ذلك يكون عن طريق المنطلقات الآتية:

1. إنَّ القوة الحقيقية التي يجب توظيفها واستثمارها والتي أهملت في هذه الحقبة –موضوع الدراسة–، هي قوة العقل والإدراك السليم لمعطيات وموجودات المجتمع والدولة، فلم يعدِ العالم اليوم يستغني عن توظيف القدرات العلمية والعقلية عند المجتمع في إعادة بناء أسس الدولة بناءً سليماً وواقعياً، وهذه القدرات كبيرة وعظيمة إلا أنَّ قدرات (صُنَّاع القرار) في العراق متخلفة ومتخندقة في خنادق قومية وعنصرية وأخرى دينية طائفية فضلاً عن السياسات الحزبية والمصالح الشخصية والفئوية.

2. إنَّ تهديد الإرهاب مستمرٌّ، وقد يندحر ويضعف ولكنَّه يُديم وجوده ويُعيد انتشاره وينظِّم صفوفه وتزداد خبراته القتالية والتنظيمية وهو يتحيَّن فرص ضعف الدولة وقواها الأمنية وتعميق الانقسامات المجتمعية وانتشار الفساد وهدر الثروات وتفشِّي الفقر والاضطهاد والتهميش فيعيد دورات نموِّه وتكيفه ويُعيد نشاطه.

3. لا يتعلق نمو قوة الإرهاب بالعوامل الداخلية في مجتمع ودولة ما، وإنَّما تزيد التأثيرات والتدخلات الإقليمية والدولية في زيادة قوته وانتشاره وإن لم تكن الدولة بقدر من القوة التي تكفي لردع تلك التدخلات، فإنَّ الإرهاب لا يغادر حاضنته، ويستمر في إضعاف قدرات الدولة ويظهرها عاجزة أمام مواطنيها، فتستمرُّ دورة الإرهاب في القتل والتدمير.